تقديس المدنس عند الشعراء المجان في العصر العباسي "الخمر انموذجاً"

The sanctification of profane in the sacred according to the free poets of the Abbasid era “Alcohol as an example” "

م. م. محمد هاشم عاشور المياحي

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

Muhammad Hashem Ashour Al-Mayahi

almeahi1988@gmail.com

المستخلص :

يعدُّ تقديس المدنَّس من الموضوعات التي أخذت حيزًا من كتابات النُقَّاد والباحثين، لكونه موضوعًا يثير جدلًا بين من يرجعه إلى أصل القواعد الدينية، ومن يتعامل معه على أنَّهُ توظيف أزليٌّ غايته الإغراب، وكسر افق التوقع، ويعارضُ المقدّس ِ المدنس ِ أحيانا كثيرة، فيبدو المقدس مُدنسًا إنْ استعملناه بصفتهِ أو صورتهِ المعاكسة، والعكس صحيح بالنسبة للمدنس، فيكون مُقدسًا عند مَن يقدسونه، والخمر من الموضوعات التي تناولها الشعراء بطابع التقديس في العصر العباسي، لا سيما الشعراء المجان منهم.

يُقدّس الخمر لدى الشعراء المجان في العصر العبّاسي، حتى ليبدو الأمر مهيمناً، وغير عابر، فالمضامين المُتجلية للخمر متنوعة، والتعابير المُتخيلة مختلفة، إذ يُكرّس هؤلاء الشعراء طبيعة حياتهم اليومية، ونتيجة واقعهم المعيشي، وإنَّ الحياة العامة في المجتمع العباسي السائدة تعكسها النصوص، وتنقلها تصورات الشعراء، عبر القصيدة؛ لتكون سجلّا يدوّن فيه ما وصل إلينا، ومنها العناية والاهتمام بالخمر، حتى صار مُقدساً لديهم.

الكلمات المفتاحية: المقدس، المدنس، الشعراء المجان، العصر العباسي، دراسة ثقافية.

Abstract:

The sanctification of the profane is one of the topics that have taken up space in the writings of critics and researchers, because it is a topic that raises controversy

between those who refer it to the origin of religious rules, and those who deal with it as an eternal employment whose purpose is alienation and breaking the horizon of expectation. If we use it in its opposite capacity or image, and the opposite is true for the profane, then it is sacred to those who sanctify it, and wine is one of the topics that poets dealt with in the nature of sanctification in the Abbasid era, especially the free poets among them.

Alcohol was sanctified by the free poets in the Abbasid era, so that it seemed dominant and not fleeting. The manifest contents of wine are diverse, and the imagined expressions are different, as these poets devote the nature of their daily lives, and the result of their living reality, and that public life in the prevailing Abbasid society is reflected in texts, and conveyed by perceptions poets, via the poem; To be a record of what has come down to us, including care and concern for wine, until it became sacred to them.

Keywords* : *The sacred, the profane, free poets, Abbasid poetry, Cultural study.

المقدمة

أنَّ الخمر في الثقافةِ العربيةِ قد تجاوزَ دوره بوصفه شراب متعة مادية وروحيّة، إذ إنَّ التراث العربي شعراً وأدباً، يزخر بالخمر وأحواله، بعدما تنوعت حالات حضوره شعرياً، فهو إمّا جزء من المَطالَعَ، أو وصف هدفه المفاخرة والجاه، أو وصف لأحواله وأحوال شاربه[١] (المأمون، عمار: بحث)؛ لـ" يتحول لاحقاً إلى حقيقة شعريّة، تحمل خصائص مرتبطة بالخمر كمشروب له قدرة تتجاوز تلك المحسوسة أو الاعتياديّة (أي الخصائص الطبيعيّة)؛ ليكون الفاعل والمؤثر عوضاً عن الفعل البشري أو الإلهي. وكأنه محرّك للكون متجاوزاً سلطة المقدس والتحريم المرتبط به. هذه المفاهيم المرتبطة بحقيقة الخمر الجديدة، مرتبطة بالشعر"[٢] (المأمون، عمار)، كما تعدّدت أسباب انتشار هذا النوع من الكتابة في العصر العباسي ويمكن إيجاز الأسباب بما يأتي:

- ظروف المجتمع المتمثلة في الترف الذي عاشه المجتمع آنذاك.
- التحرر من القيود.
- الابتعاد عن القيم والمبادئ.
- الاختلاط بالثقافات الغربية وامتزاج الأجناس والحرية العقلية والفكرية التي وفرها العصر العباسي للأدباء والشعراء، وكسر القيود المفروضة عليهم.
- دخول ثقافات أجنبية مختلفة تحمل آراء حرّة آمن بها بعض الشعراء وردّدها بعضهم واعتقد الآخرون بها[٣] (أبو زيد، علي إبراهيم: ٢٦).

- **تقديس المدنس عند الشعراء المجان في العصر العباسي، الخمر انموذجاً**

إنَّ هيمنة مثل هذهِ الافكار الجريئة ازدادت بعد انتشار الثقافة اليونانية والفارسية وتأثيرها على المجتمع العربي المسلم آنذاك وقد عرفت في الاوساط الأدبية بنزعة التنوير" التي تقوم على أساس تمجيد العقل وعبادته، وعلى فكرة التقدم المستمر للإنسانية الخالصة في مقابل القيم الالهية والنبوية" [١] (هدارة، محمد مصطفى: ٢٠٦)؛ كما نجد أنَّ اللهوَ وشرب الخمر وما شابه، هو السائد في تقديس الشعراء، إذ تهيمن هذه الأفكار على أقوالهم، ونصوصهم، إن كانوا فاعلين أو غير مطبقين، إلّا أنَّ القول ما قالوه، ومن ذلك، ما قاله الشاعر **بشار بن برد**(١)(ت ١٦٨ هـ) في تقديس الخمر:[٢] (ابن برد، بشار: ٢٥٨)

أَيُّهـــا العـــاني لِيُكفـــى رِزقَـــهُ هـانَ مـا يَكفيـكَ مِـن طـولِ العَنـا

تَرجِـــعُ الـــنَفسُ إِذا وَقَّرتَهـــا وَدَواءُ الهَـمِّ مِـــن خَمـــرٍ وَمـــا

وَالـــدَعيُّ اِبـــنُ خُلَيـــقٍ عَجَـــبٌ حُـــرِمَ المِســـواكَ إِلّا مِـــن وَرا

---

(١) **هو بشار بن برد** بن يرجوخ، وقد ذكر له صاحب الأغاني ستة وعشرين جدّاً كلهم من العجم، ولد كفيفاً، لم يرَ من الدنيا شيئا، ويؤكد ذلك في قوله: عميت جنيناً والذكاء من العمى ** فجئت عجيب الظن للعلم موئلا، كني بأبي معاذ، و(المعاذ) المدعو له بالحفظ وكان يغضب إذا نودي باسمه من غير كنية، توفي سنة ١٦٨، ينظر: الأغاني: ١٣٥/٣[١]

إنَّ محاولة إظهار النسق المضمر، ومحاولة مخالفة الدين، فيصيّر الشاعر الحرام علاجاً، والخمر دواء، وهذا ما يجعل المخالف الثقافي السائد عنصرًا مفارقًا، ومثل ذلك قوله:[٢] (ابن برد، بشار: ٢٦١)

كَـأس اِمـرِىءٍ يَسـمو وَيَـأبى جُـدبا مـــالَ عَلَينـــا بِـــالغَريضِ ضَـــهبا

وَالـــراحِ وَالرَيحـــانِ غَضّـــاً رَطبـــا وَالقَينَـــةِ البِكـــرِ تُغَنّـــي الشَـــربا

وَالعِـــرقُ لا نَـــدري إِذا مـــا جَبّـــى أَضـــاحِكاً يَحكـــي لَنـــا أَم كَلبـــا

يَســـجُدُ لِلكَـــأسِ إِذا مـــا صُـــبّا كَقـــارِىءِ السَـــجدَةِ حـــينَ اِنكَبّـــا

حَتّـــى إِذا الـــدِرياقُ فينـــا دَبّـــا وَجَـــنَّ لَيـــلٌ وَقَضَـــينا نَحبـــا

رُحنـــا مَـــعَ اللَيـــلِ مُلوكـــاً غُلبـــا مِـــن ذا وَمِـــن ذاكَ أَصَـــبنا نَهبـــا

يلوح الشاعر في متاهة النسق الذي لا يتوانى عن التلميح لمخبوء النص، وهو التحول عن الغرض الدينية والتمرد عليها، على الرغم من قدسيتها كسلطة دينية وسياسية وبها مركزية الحكم، فيعمد الشاعر الى الاستهزاء من قداسة الدين وهي محاولة لخلخة الرواسخ، ويجعل الخمر المدنس مركزياً محللاً يرسم له هالة القداسة كأنه من الفرائض التي على المجان التمسك بها؛ ويؤكّد على أهمية الخمر بالنسبة إليه، حتى يجعله فرْضاً دينيا خاصا به، حتى أنّه يشبّه نفسه بالملك حين يمارس تلك الطقوس:

يسجد / للكأس

كقارئ /السجدة

رحنا مع الليل / ملوكاً غُلبا

لبشار بن برد ضرب من الشعر يستثمره في مورد المعنى المراد، فيحاول إرجاع الشيء المخالف إلى قدسيته المعهودة، فيدخل في خلاف مع الدين في تسوية الظواهر والطقوس السائدة وتغييرها إلى منحى آخر، كما ربط الدواء بالخمر، وجعل السجود للكأس، ومن ثم يجعل زوجته خمراً صافياً حلالاً لشاربها:[١] (ابن برد، بشار: ٢٤١)

وَإِذا بَكَيـــتَ فَـــلا عَـــدِمتَ شِـــفاً وَأَكَلـــتَ لَحمَـــكَ جِنَّـــةً كَلَبـــا

سَـــــأَلَت لِأَعتُبَهـــــا وَأَطلُبَهـــــا مِمّــا تَخــافُ فَقُلــتُ قَــد وَجَبــا

وَلَقيتُهـــــا كَـــــالخَمرِ صـــــافِيَةً حَلَّـــت لِشـــارِبِها وَمـــا شَـــرِبا

ومن ذلك ما أقرّ به الشاعر **ابن هرمة**[٢] (تـ ١٧٦ هـ) لامرأته وقد عاتبته لشربه الخمر: (هرمة: ١٢٦)

لا تَبتَغـــي لَـــبَنَ البَعيـــرِ وَعِنـــدَنا مـــاءُ الزَبيـــبِ وَنـــاطِفُ المعصـــارِ

إنَّ الشاعر بهذه الفكرة يصرّ على تفضيلِهِ، وتقديسه لشرب النبيذ، حتى إنَّ هذا الإصرار، نجده في أبيات ونصوص أخرى له، كما في قوله، عندما عوتب في سكه: (هرمة: ٢١٧)

أَســألُ اللَــهَ سَــكرَةً قَبــلَ مَــوتي وَصِــياحَ الصــبيانِ يــا سَــكرانُ

نُلاحظُ في هذا البيت تباهي الشاعر في سكره، فهو مرة يسأل الله تعالى أنْ يرزقه (سكرة) قبل موته، ومرة أخرى يتفاخر بسكره، ويفرح حين يصرخ الصبيان بوصفه بالسكران، فإن هذه المقولة(وصياح الصبيان يا سكران) دليل على نبذ هذه الصفة من قبل المجتمع، والسخرية منها من قبل الصبيان، وهذا يدل على أن المجتمع في العصر العباسي ليس جميعه مع شرب الخمر واللهو والمجون، وانما هذه الصفات كانت تتمركز عند فئة محددة من المجتمع، وسبب اشتهارها أن الشعراء قد مارسوا هذه المحرمات ودونوها في اشعارهم، والشعراء آنذاك كانوا يمثلون الإعلام بالنسبة للمجتمع والدولة، لذلك نرى أنَّ هذه الممارسات كانت منتشرة، وهذا بسبب الإعلام أي الشعراء.

---

(٢) **هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة** القرشي، قال الأصمعي: إنّ الشعر ختم بابن هرمة، وقد مدح ملوك بني مروان وبقي الى آخر أيام المنصور، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم، كان مولعًا بالشرب، وهو مدمن الخمرة سكير عرف عنه المجون، ولكن هذا لا يمنع أن يكون لابن هرمة توجه ديني او سياسي نحو فئة محددة، وهو ميوله نحو التشيع الذي ألمح إليه بعض الأقدمين، وأكده البعض الآخر منهم، فقد ذكر ابن المعتز ان" له مدائح في عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب، وفي حسن بن زيد عليهما السلام، وكان منقطعاً إليهما. ينظر: **معجم الشعراء العباسيين**، عفيف عبد الرحمن: ١٦. وينظر: ديوان إبراهيم بن هرمة، تحقيق: محمد جبار المعيبد، مطبعة الآداب في النجف الاشرف–وساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه، ١٩٦٩م: ٣٥، وينظر: **طبقات الشعراء**، لابن المعتز، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، دار المعارف–مصر، ١٩٥٦م: ١٢٠.

كما أنَّ المختلف يهيمن دائما على عقول الشعراء، في قلب الصورة، وتحويلها إلى منحى آخر، لا يستوي فيه السائد من الصحيح، فيحاول إيصال البعيد، وإظهار المخفي؛ لنكون إزاء تدنيس واضح، يفرضه الشاعر على ثبات من القول، وثقة من الرأي، يستوي فيه القول، والفعل معا، ومن ذلك ما قاله الشاعر **والبة بن الحباب** (ت١٧٠هـ): (يارد: ٦٦)

شربت وفاتكٌ مثلي جموحٌ بغمى بالكؤوس وبالبواطي
يعاطيني الزجاجة أريحي رخيم الدل بورك من معاطي
أقول له على طرب ألطني ولو بمؤاجرٍ علجٍ نباطي
فما خير الشراب بغير فسقٍ يتابع بالزناء وباللواط
جعلت الحج في غمى وبنّا وفي قطربلٍ أبداً رباطي
فقل للخمس آخر ملتقانا إذا ما كان ذاك على الصراط
فان الخمر ليس تطيبُ إلّا على وَضَرِ الجَنابةِ باللواط

يخلق الشاعر هنا صوراً ثقافية كانت سائدة، تصيّر الحرام حلالاً، والخمر مُباحاً، والفسادُ مُتاحاً، وعلى وفق ذلك يُظهر الشاعر الأفعال السيّئة تفاخراً بها، ويخفي الأشياء الصحيحة تناسياً لها، إذ مهما كانت ثقافة المجتمع سائدة آنذاك؛ إلّا أنَّ الأخطاء هي ما خالفتِ الدين والعُرف الصحيح، ومن هنا نرى أنَّ التعدّي على هاتين الخصلتين يُعد انتهاكاً للمعطيات والقيم المرجوّة.

ويقترب أبو **نؤاس** من بشار بن برد[٣]، في جعلِ المقدس مُدنساً، في المعنى نفسه، عندما يرى أنَّ الدواء هو الخمر، لكن الصياغة لدى أبي نؤاس تشكّلت برؤية أكثر وعياً، وأقل تكلّفا؛ لذلك لاقت استحسان المتلقين، وحُفظت، واشتهرت، يقول فيها (**الصولي: ٥٣**):

---

(٣) **ومن قبلهما، كتب الشاعر الجاهلي الأعشى** عن المعنى نفسه، حيث قال: وكأس شربت على لذة **وأخرى تداويت منها بها . ينظر: ديوان الأعشى الكبير، تحقيق محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٧٢م :٢٢٣.

دَع عَنكَ لَومي فَإِنَّ اللَومَ إِغراءُ وَداوِني بِالَّتي كانَت هِيَ الداءُ

صَفراءُ لا تَنزَلُ الأَحزانُ ساحَتَها لَو مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتهُ سَرّاءُ

مِن كَفِّ ذاتِ حِرٍ في زِيِّ ذي ذَكَرٍ لَها مُحِبّانِ لَوطِيٌّ وَزَنّاءُ

قامَت بِإِبريقِها وَاللَيلُ مُعتَكِرٌ فَلاحَ مِن وَجهِها في البَيتِ لَألأُ

فَأَرسَلَت مِن فَمِ الإِبريقِ صافِيَة كَأَنَّما أَخذُها بِالعَينِ إِغفاءُ

نلحظُ أنَّ الشاعر " يقدّس الخمرة ويتعبد لها، فوجد أمنيته في كأس من الخمر يشربها، وفي حبيب يبادله الهوى ويسقيه الراح، وكلامه على الخمر يمتاز بشيء ما عرف عند غيره وهو أنه يفكر من الخمرة، أي إن أفكاره في أي موضوع كان، تتأثر بواقع الخمر المادي وبسيطرة الشهوة والإباحة ... على كلّ رصانة عقلية"(معتوق:٤٢)، ومن ثم يرى الشاعر أن اللوم إغراء، وهو إيجاز شديد جامع بين طرفين بعيدين في لمح خاطف، هذا الإيجاز يقود المتلقي إلى إعمال الروية في تدرج من حال إلى حال كي يتضح له المقصود في كيفية كون اللوم إغراء له، وكيفية التداوي بالداء، هو حدس سريع جمع متناقضين مرتكزين على واقع نفسي (معتوق:٤٤)، يحيلنا إلى حدس مماثل عند **قيس بن الملّوح**، في قوله: (الوالبي: ٨٢)

تداويتُ من ليلى بليلى من اللهو كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

لم يرتضِ أبو نؤاس بالماء يمازج الخمرة، وهو من روحها، بل سما بها إلى عالم غير حسي تماماً، فجعلها من عالم الأضواء، وهي صورة ذهنية تجتذبُ الفكر إليها، وإن خلت من وميض العاطفة وكثافة الخيال: (معتوق:٤٥)

رَقَّت عَنِ الماءِ حَتّى ما يُلائِمُها لَطافَةً وَجَفا عَن شَكلِها الماءُ

فَلَو مَزَجتَ بِها نوراً لَمازَجَها حَتّى تَوَلَّد أَنوارٌ وَأَضواءُ(٤)

(٤) ديوان أبي نواس برواية الصولي: ٥٣ – ٥٤.

يجعل الشاعر " الماء خشناً بالنسبة إليها، أو نابياً عنها، فلا يعتمد هنا على ما يرى لأن الرؤية تكذب ما يقول، إنما يتعدى ذلك إلى لطف شعوري شفاف لهذه الخمرة، فيرضى أن يمازجها النور؛ لأنه ليس مادة غريبة عنها، فهي نور أيضا، وهكذا من لقاء نور لنور تتولد أنوار وأضواء (معتوق:٥٤).

إنّ " إغراء الخمر يملك عليه فؤاده؛ بل تصبح معادلاً تلتقي فيه رؤاه المختلفة دينية وسياسية واجتماعية وغزلية، وهو ما راح يسجله في قولهِ متشبثاً بمسلكهِ" (التطاوي:١٥٦)، وكأن كلّ معطياته قد استحالت إلى دوافع تحثّه على مزيد من الرغبة في طلب الخمرة والجهاد في سبيلها، فصورتها في ذهنهِ هي الحقيقة الوحيدة التي يركن إليها، بصرف النظر عن طبائع الصعوبات التي يمكن أن تحجبه عنها (أشكال الصراع في القصيدة العربية: ١٥٦.)؛ ولذلك " ظلّت فلسفة الآراء مسيطرة عليه، آخذة عليه لبه، حتى أصبحت مفتاحاً لشخصيته، لا يتحرك إلّا قاصداً الحانة؛ بل لا يحرك شخصيات مسرحياته الخمرية إلّا إليها؛ بل يلجأ إلى إغراء صاحبة الحانة، حتى تفتح لهم أبوابها بلا خوف، فهو يبعث في نفسها الاطمئنان الذي يصوره نمطاً من أنماط الإغراء أيضا، يصل إلى مداه حين يجعل حياتها وموتها رهناً به، وبأفراد عصابته من خلال استعدادهم جميعاً للإنفاق في سبيل الخمر"(١٥٦)، التي تدفعهم إلى اتلاف ما يمتلكوه من ثروة.

إنّ الرغبة في ربط الخمرة بواقع الشاعر يُضفي جوانب متعددة تحتمل الصواب في مجاراة الخطأ، وتقترب من الخطأ في الابتعاد عن الصواب، بمعنى أن الحرام هنا يقع ضمناً وشكلاً، فالتجربة تتعمق أكثر بأساسياتها لا بجزئياتها، وعلى وفق ذلك تزداد رغبة الشاعر في بلوغ أعلى غايات التعلق بتجربة يتصور لذتها راسخة، ويعتقد بمتعتها المتبقية، ومن ذلك قوله: (أشكال الصراع في القصيدة العربية: ١٥٦.)

فـاحيَيْ بـريحهم فـي ظـلّ مكرمـة حتـى إذا ارتحلـوا عـن داركـم

يحاولُ الشاعر كصحبته في إقناع صاحبة الحانة، بأنهم لم يجتمعوا عندها إلّا من أجل الشرب فحسب، فهم ليسوا من قطاع الطرق، ولا لصوص العصر، ولم تلتق فلسفتهم أو تتوحد إلّا على أعتاب حانتها: (١٥٦)

فلمـا طرقنـا بابهـا بعـد هَجعـةٍ فقالـت: مـن الطُـراق؟ قلنـا لهـا إنّـا

شـباب تعارفنـا ببابـك لـم نكـنْ نروحُ بما رُحنا إليك فأدلجنا(أبو نؤاس: ٣٤٣)

عندما يوجد أبو نؤاس مسوغاته في شرب الخمر، غير مهيأة أو واردة، فإنه يضرب صفحاً عن كلّ الأديان، مُتخذاً له ديناً يفلسف من خلاله كل حياته(١٥٦)

فخـــذها إن أردت لذيـــذ عـــيش ولا تَعْـــــدل خليلـــــي بالمـــــدام
فـــإن قـــالوا: حـــرامٌ، قـــل : حـــرام ولكـــن اللّـــذاذة فـــي الحـــرام(٥)

ومثل ذلك أيضا، يقول(الصولي:٧١)

أَعـاذِلُ اِقصُـري عَـن بَعـضِ لَـومي فَراجـــي تَـــوبَتي عِنـــدي يَخيـــبُ
تَعيبـــينَ الـــذُنوبَ وَأَيُّ حُـــرٍّ مِـــنَ الفِتيـــانِ لَـــيسَ لَـــهُ ذُنـــوبُ
فَهَـــذا العَـــيشُ لا خِـــيَمُ البَـــوادي وَهَـــذا العَـــيشُ لا اللَـــبَنُ الحَليـــبُ
فَـــأَينَ البَـــدوُ مِـــن إيـــوانِ كِســـرى وَأَيـــنَ مِـــنَ المَيـــادينِ الـــزُروبُ
غُـــرُرتِ بِتَـــوبَتي وَلَجَجـــتِ فيهـــا فَشُـــقّي اليَـــومَ جَيبَـــكِ لا أَتـــوبُ

إنَّ إصرار الشاعر على الخمرة، لا خلاص منه في حياتهِ، فتقديسها يُعدّ بالنسبة إليه غاية لا ينفكّ عنها، ووسيلة لا يتركها أبداً، حتى أنّ النصّ يفعمه بمقارنتهِ لنفسه بِمن مضوا قبله، تقديماً منه لحياة انتهت بهم إلى الموت، وهو ضربٌ من محاولة إرضاء النفس.

يقدّم الشاعر صورة تعبّر عن وجهة نظره بأنّ الماضين ممّن رحلوا لم يستفيدوا شيئاً، فلا حياة من دون هناء، ثم أنه يصرّ على الإقرار بالاقتراب من الذنوب، ويؤكد على الابتعاد من التوبة أو عنها:(الصولي:٩٤)

وَقائِـلٍ هَـل تُريـدُ الحَـجَّ قُلـتُ لَـهُ نَعَـــم إِذا فَنِيَـــت لَـــذّاتُ بَغـــدادِ
أَمّـــا وَقُطرَبُّـــلٌ مِنهـــا بِحَيـــثُ أَرى فَقُبَّـــةُ الفِـــركِ مِـــن أَكنـــافِ كِلـــوادِ
فَالصـــالِحِيَّةُ فَـــالكَرخُ الَّتـــي جَمَعَـــت شُـــذّاذَ بَغـــدادَ مـــا هُـــم لـــي بِشُـــذّاذِ

(٥) ديوان أبي نواس: ٣٢٣.

فَكَيفَ بِالحَجِّ لي ما دُمتُ مُنغَمِساً فـــي بَيـــتِ قَـــوّادَةٍ أَو بَيـــتِ نَبّـــاذِ

يعلنُ الشاعر هنا علاقة وثيقة بينه وبين الخمرة، على اعتبار ماهية الذنب متعلقة بكلّ إنسان، مع عدم التوبة مهما كان الفعل، فلا عذرٌ يقدّمه، ولا توبة يريد، وهو يضع مكانة الخمر والمجون بالنسبة له أعلى من مكانة الحج والذهاب الى بيت الله الحرام، وما دام منغمساً في الملذات الدنيوية، ويبين لنا أبو نواس ثقافة المُجتمع البغدادي وطريقة عيشهم للحياة في قوله: (الصولي:٩٧)

وَقائِـلٍ هَـل تُريـدُ الحَـجَّ قُلـتُ لَـهُ نَعَـــم إِذا فَنِيَـــت لَـــذّاتُ بَغـــدادِ

فإنَّ بغدادَ كان تزخرُ في بيوتِ اللهو والمجونِ كونها كانت قبلةُ الوافدين من جميع بلدان العالم، والتطور والتحضر الذي صاحب المدينة والانفتاح على الثقافات المختلفة.

وهو هكذا، يستمر معترفاً بذنوبه، مُبعداً نفسه عن التوبة، ويقول في المعنى نفسه: (الصولي:٩٦)

أَلا فاسـقِني خَمـراً وَقُـل لـي هِـيَ الخَمـرُ وَلا تَســـقِني سِـــرّاً إِذا أَمكَـــنَ الجَهـــرُ
فمـــا الغَـــبنُ إِلّا أَن تَرانِـــيَ صـــاحِياً وَمـــا الغُـــنمُ إِلّا أَن يُتَعتِعُنـــي السُـــكرُ
فَبِح بِاسمِ مَن تَهوى وَدَعني مِنَ الكِنى فَلا خَيرَ في اللَذّاتِ مِن دونِها سِترُ
وَخَمّـــارَةٍ نَبَّهتُهـــا بَعـــدَ هَجعَـــةٍ وَقَـــد غابَـــتِ الجَـــوزاءُ وانحـــدر النِســـرُ

أراد أبو نؤاس أن يطوّع لنفسه السلوك الاجتماعي السائد، ومحاولة إخضاعه لأنماط الاستجابة التي اصدرها لنفسه بقصد تكوين سمات لتأسيس شكل اجتماعي جديد تكون الخمر هي البؤرة التي تنطلق منها الجماعة(ماجستر:٩٨)؛ كما إن النسق الظاهر لهذه القصيدة هو المفاخرة بالمجون وشرب الخمر، وعدم الاكتراث للناس، والمفاخرة بها أمام الجميع؛ ولكن لأن النسق المضمر يبين لنا أنَّ رفض المجتمع لهذه العادة التي كانت منتشرة وبكثرة داخل المجتمع العباسي، كون الشاعر أراد أنْ يكسر هذا المحرم، ويتمرد على العادات والتقاليد العربية بأنْ يُشرب الخمر علانيةً وليس سراً، ويتفاخر أمام الجميع بذلك، كما يدعو الى التمرد كما في قوله:(الصولي: ٩٧)

فَقالَت مَنِ الطُرّاقُ قُلنا عِصابَة الكِنى خِفافُ الأَداوي يُبتَغى لَهُمُ خَمر سِترُ
وَلابُـدَّ أَن يَزنـوا فَقالَـت أَوِ الفِـدا بِـأَبلَجَ كَالـدينارِ فـي طَرفِـهِ فَتـر
فَقُلنـا فهاتيـهِ مـا إن لِمِثلِنـا فَـدَيناكَ بِـالأَهلينَ عَـن مِثـلِ ذا صَـبرُ
فَجـاءَت بِـهِ كَالبَـدرِ لَيلَـة تِمّامِـه تَخـالُ بِـهِ سِـحراً وَلَـيسَ بِـهِ سِـحرُ
فَقُمنـا إِلَيـهِ واحِـداً بَعـدَ واحِـدٍ فَكـانَ بِـهِ مِـن صَـومِ غُربَتِنـا الفِطـرُ
فَبِتنـا يَرانـا اللَـهُ شَـرَّ عِصـابَةٍ نُجَـرِّرُ أَذيـالَ الفُسـوقِ وَلا فَخـرُ

حاولَ الشاعرُ تطويعَ مجتمعهِ الخاص اتجاه القبول بالخمرة بوصفها هيكلاً اجتماعياً، وقد لعب الشعر وقوة لفظه ومعناه دوراً بارزاً في سنّ قيم وأخلاق تلائم شراب الخمر والصعلكة (صورة المجتمع:٩٨)؛ ملكت الخمرة على أبي نؤاس كلّ سبيل، واستغرقت كلّ مشاعره، حتى بلغ درجة الهيام في الخمر؛ بل والعبادة، كقوله(حمامي:٥١)

لـو عبـد الخمـر قبلنـا أحـد ممـن مضـى قبلنـا، عبـدناها

إنَّ الخمر أداة حب مقدس لدى أبي نؤاس، لمحاولة التدليل الذي يكمن في أعماق النرجسية، وحبه لها للتدليل الذي لا تستغني عنه طبيعة الافتتان بالذات أو توثين الذات، ومن هذا التدليل هذا الترنم بالتاج والملك والامتياز بمقام للشرب لا يكافئه كلّ مقام:(العقاد: ٥١)

ومدامـةٌ سـجد الملـوك لهـا باكرتُهـا والـديكُ قـد صـدحا

يقدّس أبو نؤاس الخمرة، إذ انتزع عنه عباءة الجاهلية القديمة التي كان يتلفّع بها الأعشى والأخطل، ونراه قد ارتدى ثوباً جديداً كثير المعاني والزخرف (خرياني: ٩١)؛ لذلك تعلّق الشاعر بالخمر، جعله يقدّم صورة جليّة عنها، ووصفاً دقيقاً لها؛ كما أنه يرى نفسه محط أنظار الآخرين، خاصة عندما يقدّم الخمرة على أنها الصفة الأولى التي ينتمي لها، فأصبحت ملازمة له، بعدما يُقال الخمرة، يتبادر إلى ذهن المتلقي الشاعر أبو نؤاس مباشرة، إذ إنّ لغة الامتزاج ما بين الشاعر والخمرة تصل حدّ الذروة والامتلاء، فهي المعنى وهو الوعاء أو الشكل: (ديوان الشاعر: ٢٤٣.)

خلـــــوت بـــــالراح أناجيهـــــا آخـــــذ منهـــــا وأعاطيهـــــا

شـــربتها صـــرفاً علـــى وجههـــا فكنـــــت حاســـــيها وســـــاقيها

أصبحت الخمرة لدى أبي نؤاس شقيقة الروح، وأضحت كائناً حيّاً له أشكاله البديعية، وله مفعوله العجيب وله نفسه التي تنشأ كلّ أنفس الأحياء، فأي امتزاج هذا(غريب:١١٤) وأي تعلّق هذا بين الخمرة والشاعر لم يأت عن فراغ؛ بل أتت بعد بيان الشاعر لتلك العلاقة، وتفضيله للخمرة، فهو يبوح بتلك العلاقة علنا (الصولي:١٢٧):

عَـــدَدتُ بِكَفِّـــهِ أَلفـــاً لِشَـــهرٍ بِـــلا شَـــرطِ المُقيـــلِ وَلا المَقـــالِ

فَظِلـــتُ لَـــدى دَســـاكِرِهِ عَروســـاً بِعَـــــذراوَينِ مِـــــن خَمـــــرٍ وَآلِ

كَـــــذَلِكَ لا أَزالُ وَلَـــــم أَزَلـــــهُ ذَريـــعَ البـــاعِ فـــي دينـــي وَمـــالي

يُلائِمُنـــــي الحَـــــرامُ إِذا اِجتَمَعنـــــا وَأَجفـــو عَـــن معاشـــرةِ الحَـــلالِ

إِنَّ أبا نواس أَسهم في سنّ القيم التي تلائم شراب الخمر، ومنها(صورة المجتمع: ٩٩)

- استمدّ الشاعر نظامه السلوكي وقواعده من أوضاع وظروف المناخ الاجتماعي بدءاً من أسرته.
- الجانب الأكبر في تأسيس سلوكه هو اندماجه وتفاعله مع الأنظمة السلوكية التي عاش تحت رحمتها منذ طفولته.
- اتخذ الشاعر سلوكاً متطرفاً، كتعبير صادق في رفضه لواقعه الذي وجد فيه نفسه، وبالتالي محاولة تكوين مجتمع هدفه شرب الخمر والتبحر فيما تخلقه من لحظات تجاهل تام للواقع ورفض ممارسته.

- يجعل الشاعر علاقته واضحة علناً، عندما يصرِّح بأنَّ الحرام (المدنس) يلائمهُ، فهو يعترف ويقرّ بالحرام الذي يتعلق به من خلال الخمرة أو حبه لها.

أصبح قول الشعر لدى أبي نؤاس هو البحث عن الشيء ثم تجاوزه وجعله إيقاعاً مملاً في تعبيره عن الأشياء؛ وذلك لأنَّ الوقائع الإنسانية التي حدثت في تاريخ الشاعر إنما كانت عبارة عن أبنية كلية ذات دلالات تتسم بأنها عملية ونظرية انفعالية على السواء: (صورة المجتمع: ٩٩)

وَقُلـــتُ رَبِّـــيَ ذو رَحـــ ـــــمَةٍ وَذو غُفـــــرانِ

وَقُمـــتُ أَســـحَبُ ذَيلـــي عَـــن هـــازِلٍ بِـــالقُرانِ

عَـــن كـــافِرٍ يَتَمَـــرّى بِـــــالكُفرِ بِـــــالرَحمَنِ

يُريـــــدُ أَن يَتَســـــاوى بِالعُصـــــبَةِ المُجّـــــانِ

بِعَجـــــــرَدٍ وَعِبـــــــادٍ وَالـــــوالِبِيِّ الهِجـــــانِ

وَابـــنِ الإِيـــاسِ الَّـــذي نـــا حَ نَخلَتَـــــي حُلـــــوانِ

وَابـــــنِ الخَليـــــعِ عَلِـــــيٍّ رَيحانَـــــةِ النُـــــدمانِ

إِنّـــــي وَأَنـــــتَ لَـــــزانٍ مِـــــن زَنيَـــــةٍ وَزَوانِ(٦)

نُلاحظ في هذه الأَبيات أنَّ النسقَ المضمر داخل القصيدة، يُوحي بأنَّ أبا نواس يعلمُ ما يفعله من مجونٍ ولهو؛ ولكنه يطمع في رحمة الله التي وسعت كل شي، حيث قال (وَقُلتُ رَبِّيَ ذو رَحمَةٍ وَذو غُفرانِ) وهو يناجي الله عز وجل أن يغفر له، وهذا يبين أن أبا نواس يعلم أنَّ أفعالهُ مشينةً وسوفَ يعاقبُ عليها، ويحاول أن يترك مصاحبة من يهزأ بالقران حين قال: (وَقُمتُ أَسحَبُ ذَيلي عَن هازِلٍ بِالقُرانِ).

اتسم الشعر عن الشاعر بوجود موضوع عبارة عن وحدة تبحث عن القيم الحقيقية في عالم متدرج، وإنّ أسلوبه يتسم بالانفعالية والوجدانية والتحديد الذاتي(صورة المجتمع: ٩٩) ، حين قال: (الصولي:٦٧٥)

يـــا سُـــلَيمانُ غَنِّنـــي وَمِـــنَ الـــراحِ فَاسِـــقِني

مـــا تَـــرى الصُـــبحَ قَـــد بَـــدا فـــــي إِزارٍ مُتَـــــبَّنِ

---

(٦) ديوان ابي نواس، برواية الصولي: ٤٦٦ – ٤٦٧ – ٤٦٨.

فَـــــإذا دارَتِ الزُجـــــا جَـــةُ خُـــذها وَأَعطِنـــي
عـــاطِني كَـــأسَ سَـــلوَةٍ عَـــن أَذانِ المُـــؤَذِّنِ
اِســـقِني الخَمـــرَ جَهـــرَةً وَأَلِطنـــــي وَأَزِنِنـــــي

يوجّه الشاعر خطابه بأسلوب مباشر، مقدّماً الغناء، وليس مؤخراً الخمر، فالأول متعلق بالثاني، محاوراً الآخر ما ترى أنَّ "الصبحَ قد بدا"، فالصبح حين يتنفس تبدأ الحياة لدى الشاعر، مُقدساً تلك الحياة، وهي الغناء والخمرة. كما انه يعي أنَّ الخمرة إحدى المحرمات، حتى وإنْ نطقوا بها، وقالوا حرامٌ، فالمحاورة لديه، تنطلق من قيمة الحرام نفسه، بمعنى أنه يُقدس ذلك المحرّم، ويرى فيه اللذة، وهنا يكمن وعي المفارقة لديه، وتكبر المتعة في حسّ الشاعر، وفي وصفهِ بمقدار المخالفة، فلا يتساوى شراء الخمر والفسوق بمال حلال وشراؤهما بمال حرام:(العقاد: ٤٤)

واركـــبِ الآثـــام حتـــى يبعـــث الله الأنامـــا
فَلَكـــمْ نِلنـــا بـــدينا رٍ قَمرنـــاه غلامـــا
وشَـــربنا يومنـــا ذا ك بباقيـــه مـــداما
لا نصـــرف فـــي حـــرام أبـــداً إلا حرامـــا(٧)

ويؤكد أبو نؤاس أنَّ لكلِّ أمرئٍ ما نوى وما أرادَ، فالمساجد للعبّاد، وللشاعر الخمر: (الغزالي:١٩٨)

دع المســـاجد للعبّـــاد تســـكنها وطـــف بنـــا حـــول خَمَّـــار لِيُســـقينا
مـــا قـــال ربُـــكَ ويـــلٌ للـــذين سَـــكروا ولكنـــه قـــال ويـــلٌ للمُصـــلينَا

يقدّم الشاعر الأمر، بحقيقة يراها، أنَّ المساجد للعبّاد، والخمر للشاعر وأصحابه، وهو، هنا، يؤدي تقديم الفكرة بأسلوب ذكي، ومغاير، حيث يحاول أنْ يغيّر الأمر، كما يقرن الثنائيات المتضادة؛ ليجعل من النص

---

(٧) ديوانه: ١٨٧.

مُعبّراً بمعناه، وبقصده الذي يسعى إليه، كذلك يرغب الشاعر في أن يكون نصه مُؤثّراً في المتلقي، فيتشكل النص على الصورة التي يُريد:

المساجد بالعبّاد/ السكن

الطواف/ حول خمّار/ السقي

تتحقق المفارقة من خلال ردّة الفعل المغايرة في السكن/ الطواف، بمعنى أنه جعل الصورة الأولى ثابتة، والأخرى متحركة، وهو بهذا يستعمل الطواف(المقدس) على الخمر(المدنس)، كما نرى في هذه الأبيات النسق المضمر للشاعر، وهو أن الناس يذهبون إلى المساجد وهم بعيدون عن تعاليم الدين الإسلامي وتكون صلاتهم من أجل إرضاء الناس والمفاخرة بها، وليس لإرضاء الله والعبادة، وهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (سورة الماعون) تتشكل نصوص الشاعر على آلية ذكية، فهو يعمد إلى الحجج التي يراها (عقلية)، خاصة في قضية تحريم الخمرة، ومحاولة ردّه على من يحرّمها أو يكفّر شاربها، مُعتمداً على الآيات القرآنية (شعر المجون: ٢١٢) في تغيير الفكرة أو تضمينها إليه، بما يناسب الجزء المُراد منها، مثل قوله(الديوان:٢١٨)

أدرْ كـأس المدامـةِ يـا نـديمي ولا تسـمعْ مقـالَ العاذلينـا
ألـمْ تسـمعْ مقـال الله فيهـا تعـالى: لـذّة للشاربينـا
يطـوف علـيهم الولـدانُ فيهـا بكاسـات المـدام مخلّدينـا

يحاول الشاعر صناعة مفارقة من خلال اللعب باللفظ، والتلاعب بالمعنى، إذ يُغيّر الشاعر المعنى المعروف، ومحاولة التغيير من تحريمها في الدنيا، إلى مقبوليتها في الجنة، وهكذا يجعل من الحرام حلالاً، واللذة بحسب الشاعر تكمن في مخالفة الأمر دائما.

وفي المعنى نفسه، نقرأ نصّاً للشاعر **إبراهيم بن سيار النظام**(٢٢١هـ)[٨] في وصف الخمر، إذ يقول:(العلي: ٦٧)

يســـعى بلؤلـــؤةٍ مـــن فـــوقِ لؤلـــؤةٍ وكـــفَ لؤلـــؤة فـــاللون حمصـــي

مـــاءٌ ومـــاء وفـــي مـــاءٍ يـــديرهُما مـــاءٌ جـــرى فيهُمـــا فـــالفكر مـــوهمي

إذا ادار علينـــا الكـــأس خمســـةً مـــن كنـــه اســـرارنا فـــذ حقيقـــي

في مجلسٍ طُرِقَت عين الزمانُ بهِ واكتنـــه مـــن جنـــاح الخفـــض علـــوي

يصف الشاعر الخمر هنا، وقد "تختلط في الأبيات فكرته عن النور بفكرته عن الأجسام وإنها أعراض مجتمعة، ويتضح فيها لحن المعتزلة، أو لحنه هو؛ إذ يتحدث عن (الكيف) وتحديده، أو بعبارة أخرى عن (العرض) وهو عنده جسم (ضيف٣٤٤)؛ كان استغراق النظام وتجريداته تُعطي الدليل، على طاقة شعرية فذة لا تقف عند حدود (الحس)، ولكنها تستخدم مجال الوهم في إبداع الصورة الشعرية ودلالة إسرافه على هذا النحو، تدلّ على مقدرته الفائقة على تدقيق المعاني والإغراب على تصورها إلى أبعد حدّ ممكن(العلي:٧١)، وليس من شك في أن هذه المقدرة التي أخصبت خياله وجعلته قادراً على أنْ يذهب في تصور معانيه الشعرية إلى هذا المدى البعيد، إنما هي ثقافته العقلية المتشعبة (العلي:٧١).والتي تركت أثرها الواضح في أشكاله

---

(٨) **هو إبراهيم بن سيار بن هاني أبو إسحاق**، لُقّب بـ (النظام)، فقد اختلف المؤرخون بذلك، البعض قال: ان هذا اللقب جاء من نظمه الخرز في سوق البصرة، أما أصحابه المعتزلة فرأوا أنه نظام الكلام، ولد النظام في البصرة عام ١٦٠هـ، ونشأ فيها وتتلمذ في صباه على الخليل بن احمد الفراهيدي، وتوفي في خلافة المعتصم سنة ٢٢١هـ. اتهم النظام بالزندقة والسكر، والاعتقاد بالبرهمية التي تنكر النبوة، حتى قالوا: انه سقط من غرفة سكراناً فمات. ينظر: **امالي المرتضى** غرر الفوائد ودرر القلائد، للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، مصر–ط١، ١٩٥٤م ١٨٧/١، و**الفهرست** في اخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين لابن النديم، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ٢٠٠٩م:٢٠٥. و**الملل والنحل**، الامام ابي الفتح محمد الشهرستاني ت٥٤٨هـ، صححه وعلق عليه: احمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط٢، ١٩٩٢م: ٥٣/١. **ال**، الخطيب البغدادي، تحقيق: العلامة محمد سعيد العرفي، دار النوادر للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م: ٩٧/٦.

ومضامينه، فضلاً عن قدرته وموهبته الذاتية، فالتجريد دليل على قوة المقدرة العقلية؛ لأنَّ ضعاف العقول هم الذين لا يقدرون عليه(العلي:٧٢)

كما أن وصف الخمر والتغزل بها، ورفعها إلى مكانة مقدسة أصبح عادةً عند شعراء هذا العصر، ولا سيما أنهم كانوا يرتادون الحانات نفسها، ويجلسون المجالس نفسها، وتربطهم علاقة وثيقة بعيدة عن الانتماء الديني، والتعصب القبلي، "قال خلف بن المثنى كان يجتمع بالبصرة عشرة في مجلس لا يعرف مثلهم في تضادِّ اديانهم ونحلهم: الخليل بن احمد سُني، والسيد بن محمد الحِميري رافضي، وصالح بن عبد القدوس ثنوي، وسفيان بن مجاشع صفري، وبشار بن برد خليع ماجن، وحماد عجرد زنديق، وابن رأس الجالوت يهودي، وابن نطيرا متكلم النصارى، وعمرو ابن اخت المؤيد المجوسي، وروح بن سنان الحراني صابئي، فيتناشد الجماعة أشعاراً" (الذهبي: ٣٨٣/٩) ، إن هذا المزيج من الأديان والطوائف المختلفة في العصر العباسي قد ساعد في تشكيل ثقافة عالية بعيدة عن التعصب والتطرف وكان شغلها الشاغل هو الأدب والشعر، كما أن شعرهم متجرد من النزعات الدينية، لذلك قد مزج المقدس والمدنس داخل أشعارهم، ولا خطوط حمراء لديهم، يقول **الحسين بن الضحاك**[٩] في الخمرة: (عطية:٩٥)

دَاوِ خَمّـــاري بكـــأسِ خمـــرِ وأَحْـــيِ سُـــكّرَ الهـــوى بِسُـــكْرِ

وَرَوِّقِ المَـــــزْجَ ثـــــوْبَ دُرِّ وشعِشـــعَ الـــرّاحَ ثَـــوْبَ تِبْـــرِ

مدامـــــةٌ عُتّقَـــتْ فجـــاءَتْ كلمـــح بَـــرْقٍ وضـــوءِ فَجـــرِ

رقّـــتْ فكانَـــتْ كمثـــلِ دينـــي ومثـــلِ دمعـــي ومثـــل شِـــعْرِي

---

(٩) **هو الحسين بن الضحاك بن ياسر**، أبو علي الشاعر البصري المعروف بالخليع، اصله من خراسان كان مولى لولد سلمان بن ربيعة الرأي الباهلي الصحابي، والحسين بصري الولادة والنشأة، وسمي بالخليع لكثرة مجونه وخلاعاته، وكان من اقران ابي نواس ينظر: **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين الصفدي، تحقيق: احمد الارنأووط- تركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٠م: ١٢/ ٣٧٩.

تُظهر هذه الأَبيات السمات المقدسة للخمرة، فالشاعر يرى أن صفات الخمرة تتجلى في اتجاهين، الدواء والإحياء، وصفات ثلاث، فهو يعدها مثل دينه ودمعه وشعره، كما يعبّر هذا التشبيه عن مدى أثر الخمرة عليه؛ لأنَّ الشاعر في دوّامة التيه، بمعنى أنَّهُ يعدُّ الخمَر نصيب التائه في الدين والحزن والشعر، ولا مفرّ منها ما دامت هي الدواء والإحياء ومن دونها فالمرض أو الموت؛ لأنَّ اللذة تكمن في هذا الشراب المقدس لديه (الضحاك:١٢٩)

أنـــــا الخليـــــعُ فقومـــــوا إلـــــى شـــــرابِ الخليـــــعِ

إلـــــى شـــــرابٍ لذيـــــذٍ وأكـــــل جـــــدٍي رضـــــيعِ

ونيـــــل أحـــــوى رخـــــيمٍ بالخنـــــدريس صـــــريعِ

فـــي روضـــةٍ جادهـــا صـــو بُ غاديـــــات الربيـــــعِ

قومـــــوا تنـــــالوا وشـــــيكاً منـــــالَ كُـــــلِّ رفيـــــعِ

يسعى الشاعر إلى استلاب سوء شرابه المفضل بما يقابله من صفة إيجابية، فيجعل اللذة مقابل الشراب، وعلى وفق ذلك فهو يُعطي الصفة الإيجابية على شيء مُدنس.

النتائج:

تهيمن ظاهرة المجون في الشعر العباسي، ومحاولة الشعراء المجان لفرض ثنائية ضدّية ما بين المقدس والمدنس، إذ قدّموا لغة يسودها التقديس لظاهرة المدنس.

تهيمن المفارقة في تجليات نصوص الشعراء المجان، فهم يخلقون لغة مفارقة في تحويل المدنس إلى مقدس أو العكس.

ومن تجليات تقديس المدنس، هو تقديسهم للخمر، ومحاولة إعطائها ملامح دينية أو قداسة بيّنة.

هناك مبررات فكرية تتجلى في نصوص الشعراء المجان؛ إذ يحاولون من خلالها أنْ يكون المُدنس لهم مُباحاً.

يصرّح بعض الشعراء المجان برؤيتهم حول تدنيس المقدس من خلال معطيين أثنين:

الأول: النسق المضمر: وهو ما يتجلى في تدنيس المقدس المضمر، أي المقدس غير الظاهر أو المتجلي في المسكوت عنه.

يؤدي الشاعر أحيانا اللعب على الوتر الحساس بتقديمه للمضمر، ومحاولة الإشارة إليه، والرمز بصورة غير معلنة؛ فيكشفه بصورته الصريحة للمتلقي، خاصة تلك الجوانب أو الصور التي تتعلق بالجسد أو المرأة، ومحاولة ربطها بالدين؛ ليكون تدنيس المقدس جلياً.

الثاني: النسق الظاهر: وهو ما يتجلى في تدنيس المقدس الظاهر، أي المقدس المُعلن، إذ يقدّم الشاعر من خلال هذا النسق رؤية عامة عن صور هي ظاهرة أصلا، لكنه يحاول ربطها بالمحتوى الديني؛ ليفرض رؤية مدنسة على المقدس الديني.

تتمحور صور المدنس بجوانب ومعطيات عدة، أهمها: الخمر والمجون واللهو.

المصادر والمراجع:

- الأغاني، لابي علي الاصفهاني، تحقيق: د. إحسان عباس ود.ابراهيم السعافين والأستاذ بكر عباس، دار صادر، بيروت – لبنان، ط٣، ٢٠٠٨م.
- امالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، مصر-ط١، ١٩٥٤م.
- ديوان إبراهيم بن هرمة، تحقيق: محمد جبار المعيبد، مطبعة الآداب في النجف الاشرف-وساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه، ١٩٦٩م.
- ديوان ابي نواس، برواية أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، تحقيق الدكتور بهجت عبد الغفور الحديثي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث – دار الكتب الوطنية، ط١، ٢٠١٠م.
- ديوان الأعشى الكبير، تحقيق محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٧٢م.

- طبقات الشعراء، لابن المعتز، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، دار المعارف-مصر، ١٩٥٦م.
- الفهرست في اخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين لابن النديم، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ٢٠٠٩م:٢٠٥.
- معجم الشعراء العباسيين، اعداد: عفيف عبد الرحمن، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١ – ٢٠٠٠م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تحقيق: احمد الارنأووط- تركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
- والملل والنحل، الامام ابي الفتح محمد الشهرستاني ت٥٤٨هـ، صححه وعلق عليه: احمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٩٢م.